ومن هذه المجازات ما هو قوى الدلالة على أحوال الأمة العربية فى حياتها الأولى . فالكتابة والشكل والرسم والبلاغة والفصاحة والدلالة نفسها كلمات مستعارة من حياة أقوام رعاة وقبائل مترحلة .

فالكتابة والشكل بمعنى القيد ، والرسم أثر خطو الإبل على الرمل فى رسيمها أو سيرها على العموم ، والبلاغة من الوصول إلى غاية المسير ، والفصاحة من اللبن الفصيح الذى زال رغوه ، والدلالة للقافلة كالدلالة للكلام .

وإذا قال العربى القديم إن العرب قوم أو قبيل فإنما يعنى بالقوم طائفة من الناس تقوم معًا للقتال . فالشاعر الذى سأل « أقوم آل حصن أم نساء » لم يخطىء الغرض ، وإنما جاء اللبس أو جاءت الحاجة إلى التفسير حين أطلقت كلمة القوم على الأمة كلها ، فوجب أن تطلق فى معناها هذا على الرجال والنساء .

وما الطائفة وما القبيل ؟ إنهما جاريتان على هذا المجرى فالطائفة أناس يمضون إلى قبلة واحدة ... ومثل هذا إطلاق كلمة القرن على الذين يقترنون فى مولد واحد ثم أطلقت على الزمن الذى يقترنون فيه ، ويشبه أن يكون الجيل بمعنى القرن على فعيل من جال ، تحولت من جويل إلى جيل .

* * *

ونستطرد مما تقدم إلى المقارنة بين اللغة العربية واللغات الأخرى فى استعمال المعنى الحقيقى والمعنى المجازى فى وقت واحد ، فيبدو